

مفهوم الفائض.. هيئة المساحة الدينية

سعد القرش
روائي مصري

وكوابيسه، كوابيسنا. وإنما هي فتوى بتلقفها حشد مستلب الوعي، ويحاول تنفيذها، اعتقاداً بأن ما يصيب "المجاهد" من قتل أو اعتقال "في ميزان حسناتك" كما أفتى الغنيم، فهل تذكر تغريدة عبدالغفور بشيء؟ أرجع إلى 16 يونيو 2013.

في ذلك اليوم رفض أهالي الأقصر دخول المحافظ الجديد عادل أسعد الخياط المنتمي إلى "الجماعة الإسلامية" للجماعة سجل إرهابي، ومن إنجازاتها غزوة معبد حتشبسوت، مساء 17 نوفمبر 1997، وقتل 58 سائحاً وأربعة مصريين. واحتجت سويسرا (36 قتيلًا) واليابان (10 قتلى) على تعيين المحافظ الذي سألته الإعلامية ريم ماجد عن تصريحات منسوبة إليه، يصف فيها الآثار بأنها "أضداد حرام"، وإذا لم تهدم فيجب تغطيتها؛ فاجاب "لم يصدر لي أي تصريح بشأن هذه الأضداد إطلاقاً". فسألته "هل قلت: أضداد؟".

استدرك "هذا تراث وتاريخ إنساني يجب الحفاظ عليه". ومزنا شهوداً على فيلم طويل بانس، يفيض بجهايلات وفتاوى وحماسة فارغة. ولا عاصم لنا إلا الوعي.

صاح أغلب تراث الشيخ محمد رفعت، لاعتقاده بحرمه تسجيل التلاوة القرآنية. لم يكن الشيخ فقيهاً، ولكنه استجاب لفتاوى زمانه. في تلك الفترة نشر تحت عنوان "منع الأسطوانات القرآنية" خبر عن حظر دخول أسطوانات القرآن الكريم، بناءً على طلب وزارة الداخلية وبناءً على إفتاء مشيخة الأزهر بعدم جواز ملء القرآن الكريم في أسطوانات الفونوغراف. يجب على فروع الجمارك منع إدخال أسطوانات القرآن الكريم للقطر (المصري) وأن يقوم أصحابها بإعادة تصديرها. كما ضاع تراث القارئات، بسبب فتوى "صوت المرأة عورة". وفي كتاب محمود السعدني "الحنان السماء" نماذج لقارئات منهن الشبيخة منيرة عبده، وكان أجراها خاصة جنيتها، نصف ما كان يناله الشيخ رفعت.

التشدد لم يصب فقط جانباً من التراث الصوتي للقرآن، بل أنهى عهد بعض القارئات بالتلاوة. كانت الشبيخة سكينه حسن أول قارئة تسجيل تلاوة القرآن بصوتها في أسطوانات، في بداية القرن العشرين، ولها في موقع يوتيوب تلاوات من تراث شركة "أوديون" الألمانية، وانتقلت إلى الغناء، لأن "صوت المرأة عورة"، وفقاً لفتوى قائمة يتمسك بها دواعش مهمتهم أن يصر الناس على أذى الاستبداد العسكري، خوفاً من جرائم الاستبداد الديني. أحدهم اسمه وجدي غنيم، استوطن تركيا بعد الدوحة، وغرد يوم الخميس 24 سبتمبر 2020 داعياً المسلمين إلى النزول في الغد، فهذا واجب ديني، "في سبيل إقامة دولة الخلافة أنزل وكسر وخرب مباح شرعاً".

عبدالغفور، مؤسس أحد الأحزاب السلفية وكان مساعداً للرئيس الإخواني محمد مرسي لملف التواصل المجتمعي، "بكرة في جمعة الغضب بإذن الله لو ربنا كرنا وبدخلنا التحرير مش هسنسب جزء سليم في المتحف المصري ويتبعه إن شاء الله المتحف المصري الكبير وأي حاجة هو عملها هنعرف نخربها هنخربها بإذن الله". أمنية عبدالغفور ليست مجرد تغريدة تضاف إلى هلوسات وجدي غنيم

باحث في علوم الدين أو الاجتماع برصد ما أذيع ونشر من فتاوى، خلال حرب أكتوبر 1973، وكنا في موسم الفتاوى الرمضاني، للربط بين القضايا المصرية والإكفاء من الدين بجوهرة، "أمنت بالله ثم استقم". فقد توجي منافذ الفتوى بأن الدين كهنوت، ووجود هذا "الشغل" يغري المتعلمين بافعال أسئلة يشغلون بإجاباتها فراغهم.

ذكر أحمد لطفي السيد، في مجلة "الرسالة" مايو 1933، أنه كان وكيلاً للنيابة بمدينة المنيا، عام 1905 حين قدم للإمام محمد عبده من السودان، فنزل عنده، وحضر لتحيته الوجهاء، وقال له أحد رجال المحكمة الشرعية "إن كثيراً من النصارى يدخلون في الإسلام، فتضاعف بذلك المشغلة". فقال له الإمام: فيم تشتغل أنها الشيخ؟ فقال تعلمهم أركان الدين. فقال له: يكفي أن تقول له: صل وصم وركّ وحج. فقال: ولا بد أن تعلمه الوضوء. فقال: قل له اغسل وجهك ويديك إلى مرفقك وامسح رأسك واغسل رجليك. فقال: ذلك لا يكفي ولا بد أن تعلمه حدود الوجه من أين يبتدىء وإلى أين ينتهي. فقال الشيخ بصوته الجهر في شيء من الحدة: سبحان الله يا سي الشيخ! قل له يغسل وجهه؛ كل إنسان يعرف حدود وجهه من غير حاجة إلى مساح!".

تنتعش "هيئة المساحة الدينية" بإشغال الناس بالفتاوى، ما يفيدهم وما لا يفيد. وتدل التجربة التاريخية على ميل أعضاء نادي "المساحين" إلى التحريم. في نهاية القرن الخامس عشر أفتى رجال الدين لدى السلطان بايزيد الثاني بحرمه المطبوعة، فأهدروا بضعة قرون كان يمكن فيها للعالم الإسلامي أن ينهض، ويتصدى لإطعام أوروبا في بلاد المسلمين. وشهدت مصر في القرن التاسع عشر جدلاً حول الوضوء من ماء الصنبور. وامتلك مفتي الحنفية جسارة الإجازة، فتم تعميم "الحنفية"، وسجلت للأحناف قدرتهم على التحرر من سلطة التقليد. وصق على رجال المذهب الثلاثة قول الإمام محمد عبده "إن المسلمين لا يتسألون إلا في ما تظهر فائدته، ليجرموا أنفسهم منه".

من الأعراض الجانبية الإيجابية لفايروس كورونا إتاحة الفرصة لإعادة النظر في فلسفة الفائض، ليس فائض القيمة، وإنما الإفراط غير المفيد، من "التمثيل" النيابي إلى الحشد الجماهيري في مباريات الكرة ودور العبادة والنوافل والفتاوى. وسيغادر الفايروس، إن غادر، دون تسجيل نجاح في الاستغناء عن ضرورات وهمية، فائضة عن الحاجة، وكنا نظن الحياة لا تسقى إلا بها، فإذا هي كالإطار الخامس، "الاحتياطي/الاستثنائي" للسيارة. وفي السبعينات والثلاثينات عقود نشأ جيل لا يتصور مجيء شهر الصيام إلا بصحبة "قوازي رمضان" الإذاعية والتلفزيونية، ثابت ليلي لا يتأثر بتغير صناعه، واختفت الفوازيير وظل الصيام صحيحاً، كما صحّ رغم منع كورونا لحشود صلاة التراويح بالمساجد والشوارع.

يفرح المسطاء في مصر بتجاوز مآذن المساجد وأبراج الكنائس. وفي وسائل التواصل الاجتماعي يتبادلون صوراً تتعاقب فيها هذه الرموز المجهمة إلى السماء، مصحوبة بتعليقات ساذجة عن التسامح الديني. والتسامح مفهوم استعلائي، شخصي لا يدعاه قانون، ويؤكد تكريم المتسامح على "الأخر" بحسن الجوار، والبديل العصري، العادل الإنساني، هو التعاضل القائم على حقوق المواطنة. وتجاوز المآذن والأبراج تحرش معماري، ولا تجد برجاً لكنيسة أعلى من أقرب مئذنة، وقبل إتمام بناء كنيسة يثبت أساس مسجد، كأنهم يعترفون إلى الله الذي جعل الأرض "مسجداً وطهوراً".

فائض الحماصة قد يعني قلة الحيلة، وتراجع فقه الأولويات، ففي الصومال طلبوا متطوعين لبناء مسجد فندفعت الحشود. والمدارس والمستشفيات أولى. لا تخيل الكنيسة والهدوء منذ مئة عام، قبل انتشار مكبرات الصوت

المصاحبة لافتتاح المحال في المدن، وانتشارها في الاتجاهات الأربعة بالمآذن، وتوجهها إلى شرفات البيوت انطلاقاً من الزوايا الصغيرة أسفل البنايات. ويكاد ميكروفون الجامع يصير من أركان الدين، ولا بد أن يتواصل البث بالية أقرب إلى الاعتقاد الوظيفي. ولا خطر على أي شيء أكثر من الآلية والاعتقاد الوظيفي، بما في ذلك الفتاوى التي تناقش على الاستفزاز بها البرلمان المصري والأزهر. كلاهما يطلب الحق في مشروعية الفتوى ومصاردة حق الآخر، فما كان من شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب إلا الاعتصام بالمدستور الذي يجعل الأزهر "المرجع الأساسي في العلوم الدينية والشؤون الإسلامية".

ربما اقترح عاقل الكف تماماً عن الإفتاء، مؤقتاً لمدة شهر واحد فقط، لرؤية ماذا يحل بالمسلمين في مصر من كوارث، إذا استغنوا عن خدمات دار الإفتاء وتوابعها ومنافسها في برامج "بنية" لا تخلو منها فضائيات يكفر بعضها بعضاً سياسياً ودينياً. هل يحتاج دين، أي دين، إلى جيوش للإفتاء؟ أتمنى قيام

إيران تجهز لدوامه جديدة من الفوضى

وبذلك لا يمكن الحديث عن أي ازدهار في الإمكانيات العسكرية الإيرانية من جهة الاستيراد أو التصدير في ظل المتاعب المالية التي تثقلها والضعف الاقتصادي التي تتواطأ على عاتقها، فضلاً عن انعدام الثقة في تماسك نظامها المالي أو الرياح السياسية التي تحركها مخاوف غضب أميركي يجره التعامل مع إيران أو التوسع في الشراكة معها والتفاوض بأفق لا تنقطع أوصاله في لحظة ما من الوقت. في ظل هذا الواقع من ضعف مردود هذه المرحلة، بعد نهاية حظر السلاح المفروض على إيران، يتأتى سؤال عن الانعكاس الحقيقي له، وبطبيعة الحال ستكون المنطقة المفضلة بالنسبة لطهران لاستعراض عضلاتها واستثمار هذه الثغرة الممكنة للضغط على المجتمع الدولي واستفزاز المارد الأميركي، هي زيادة أعباء وتكلفة الدور السلبي لإيران في منطقة الشرق الأوسط، عبر وكلائها المحليين في الدول التي تشكل فرصاً ثمينة لإيران وجراحاً غائرة للعرب.

من هنا يفهم تصريح لا تنقصه الفجاجة للرئيس الإيراني حسن روحاني بعد انتهاء حظر السلاح عن نوايا لبيعه لمن يريد، وتصريحات عضو لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية في البرلمان الإيراني أبو الفضل حسن بيكي، عن نية لبيع الأسلحة لمليشيا الحوثي، في مؤشر خطير عن التوجهات الإيرانية لتصعيد وتيرة الصراع في المنطقة.

جاء الرد الخليجي الثابت من الدور السلبي لإيران، ليضع في حسابان المجتمع الدولي، أو أي إدارة أميركية مرتقبة، أن التفاهم مع طهران لا يمكن أن يتم أو يبرم على طريقة تغذية الجرح قبل شفاؤه، على نحو ما فعلت الصفقة الأوبامية.

ورد ذلك على لسان الأمين العام لمجلس التعاون الدكتور نايف الحجرف، خلال اجتماع مجلس الأمن مناقشة الوضع الراهن في منطقة الخليج مؤخرًا، بأن إيران اتخذت من أسلوب العداوة والعنف وزعزعة الاستقرار في المنطقة نهجا لها لتحقيق أهدافها السياسية، حيث تعرضت بعض دول المجلس لاعتداءات متكررة من قبلها ووكلائها في المنطقة كالهجمات بالصواريخ الباليستية والطائرات المسيرة، والأعمال الإرهابية. وقام النظام الإيراني مؤخرًا

بتهريب حسن إربلو، عضو الحرس الثوري الإيراني المرتبط بحزب الله اللبناني، إلى اليمن تحت غطاء "سفير" طهران في سعيها لاستمرار الفوضى، واستخدام وكلائها لتوسيع نفوذها الخبيث في الدول العربية، وتجهيز المنطقة لدوامه جديدة من العنف وحلقة أخرى من مسلسل الفوضى، فيما يتمتع المجتمع الدولي عن تحمل مسؤولياته أو المساعدة في وقف هذا الأذى عن العالم.



عمر علي البديوي
صحافي سعودي

جولة جديدة تزيد من تحفيز القلق والتوتر في المنطقة، بسبب رفع الحظر عن تصدير السلاح إلى إيران، وانطلاق مشوار جديد من المتاعب التي تنتظر دول وشعوب منطقة ابتليت بهذا النظام الجار وسلوكه العدواني ضد استقراره واستمراره. وذلك بعد أن امتنع العالم عن تأييد نية واشنطن ودعم دول الخليج العربي لاستمرار قرار الحظر، لما له من نفع في تخليص المنطقة من شرور بؤر التوتر وقطع الطريق على واحدة من أكثر أسبابه فاعلية ونشاطا، طهران التي تتوعد وتبذر بفتح شبيهة المنطقة للفوضى والخراب وتسعيير نيران الشقاق.

بطبيعة الحال ستكون المنطقة المفضلة بالنسبة لطهران لاستعراض عضلاتها واستثمار الثغرة الممكنة للضغط على المجتمع الدولي واستفزاز واشنطن هي منطقة الشرق الأوسط

بطريقة احتفالية، ربما تمتص بعض الوهن الذي يصيب حكومة طهران، كتب وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف أن نهاية القيود المفروضة على بلده لا تعني بالضرورة تخفيفها مبدأ التسليح العشوائي أو افتعال الحروب والعيث فساداً في المنطقة، والواقع أن بلاده تفعل عكس ما يدعيه ويكتبه باللغة العربية هذه المرة، تماماً. بدليل تصريح أمير حاتمى، وزير الدفاع الإيراني، عقبه مباشرة وقوله إن مجال بيع السلاح سيكون أوسع بالنسبة لهم، وأن إيران ستكون لاعباً جديداً وناجحاً في سوق بيع السلاح، وبالتالي فإن المنطقة مقبلة وموعودة بدفق جديد من أسباب وأدوات نفق النظام ودوامه العنف ومالات الخراب والعدوان والتوتر.

ومع ذلك تواجه إيران حقيقة مرة، ربما تعطل الكثير من مباح هذه الانفراجة السريعة، ابتداءً بسلة العقوبات الكاملة التي فرضتها واشنطن، وأزقت واقع وكامل الإيرانيين، فيما تامل حكومة طهران أن تسفر الانتخابات الأميركية عن انتشاح سحابة الجمهوريين وإعادة وصل آمالهم العريضة بعودة مظفرة لأمير المرحلة الأوبامية، بايدن، ويوتوبيا الخطة الولية الغامرة.

هل تدخل إسرائيل وسيطا بين حماس والسلطة؟

المفارقة أن حماس التي لا تتفق بالفلسطينيين في الفصائل الأخرى تتفق في المقابل بإسرائيل التي تدمر البنية التحتية في غزة من غير أن تلحق ضرراً بقيادتها التي تجني أرباحاً هائلة في كل مرة تهدم إسرائيل البيوت على رؤوس سكانها. لذلك فإن حماس تخسر كثيراً إذا ما قررت أن تتخلى عن غزة. تلك فكرة لا يمكن أن تطرا على أذهان زعماء حماس. فغزة الفقيرة تدر ذهباً عليهم. وإذا ما كانت ثروات رجال الأعمال في رام الله قد أثارت الاهتمام منذ زمن بعيد فإن ثروات الحمساويين صارت تحت الضوء منذ سنوات. لذلك فإن حماس كانت قد

تفاوضت مع إسرائيل مرات عديدة وفي الوقت نفسه كانت تتبنى شعار زوال إسرائيل الذي هو جزء من الأدبعية الإيرانية المناقعة. إلا أن السلطة الفلسطينية التي تنظر باستسلام إلى ما يجري في غزة، كما لو أن أهل غزة ليسوا فلسطينيين ولا تقع مسؤولية رعاية مصالحهم ضمن واجبه فإنها كما في كل شؤونها لا تملك أن تفعل شيئاً.

تزال تتحدث نظرياً بلغة المقاومة التي صار واضحاً أنها مجردة من إمكانية بزعم السلطة التي تشع بجرع كبير لأن إسرائيل لا تلتفت إليها ولا تكمل مخططاتها في القضاء على حركة حماس وتحرير غزة عن طريق احتلالها. وهو ما يدعو إلى السخرية حيث صار حلط الأوراق على درجة عالية من الرخص والابتذال. فحماس التي استقلت بقطاع غزة صنعت منه قضية لا علاقة لها بأصول القضية الفلسطينية. غزة ليست فلسطين. تلك فكرة

كرستها حماس عملياً بالرغم من أنها لا تزال تتحدث نظرياً بلغة المقاومة التي صار واضحاً أنها مجردة من إمكانية بزعم السلطة التي تشع بجرع كبير لأن إسرائيل لا تلتفت إليها ولا تكمل مخططاتها في القضاء على حركة حماس وتحرير غزة عن طريق احتلالها. وهو ما يدعو إلى السخرية حيث صار حلط الأوراق على درجة عالية من الرخص والابتذال. فحماس التي استقلت بقطاع غزة صنعت منه قضية لا علاقة لها بأصول القضية الفلسطينية. غزة ليست فلسطين. تلك فكرة

المفارقة أنها لم تتفاوض عن طريق طرف ثالث إلا مع حركة حماس. وهو ما يزعج السلطة التي تشع بجرع كبير لأن إسرائيل لا تلتفت إليها ولا تكمل مخططاتها في القضاء على حركة حماس وتحرير غزة عن طريق احتلالها. وهو ما يدعو إلى السخرية حيث صار حلط الأوراق على درجة عالية من الرخص والابتذال. فحماس التي استقلت بقطاع غزة صنعت منه قضية لا علاقة لها بأصول القضية الفلسطينية. غزة ليست فلسطين. تلك فكرة

المفارقة أنها لم تتفاوض عن طريق طرف ثالث إلا مع حركة حماس. وهو ما يزعج السلطة التي تشع بجرع كبير لأن إسرائيل لا تلتفت إليها ولا تكمل مخططاتها في القضاء على حركة حماس وتحرير غزة عن طريق احتلالها. وهو ما يدعو إلى السخرية حيث صار حلط الأوراق على درجة عالية من الرخص والابتذال. فحماس التي استقلت بقطاع غزة صنعت منه قضية لا علاقة لها بأصول القضية الفلسطينية. غزة ليست فلسطين. تلك فكرة

المفارقة أنها لم تتفاوض عن طريق طرف ثالث إلا مع حركة حماس. وهو ما يزعج السلطة التي تشع بجرع كبير لأن إسرائيل لا تلتفت إليها ولا تكمل مخططاتها في القضاء على حركة حماس وتحرير غزة عن طريق احتلالها. وهو ما يدعو إلى السخرية حيث صار حلط الأوراق على درجة عالية من الرخص والابتذال. فحماس التي استقلت بقطاع غزة صنعت منه قضية لا علاقة لها بأصول القضية الفلسطينية. غزة ليست فلسطين. تلك فكرة

المفارقة أنها لم تتفاوض عن طريق طرف ثالث إلا مع حركة حماس. وهو ما يزعج السلطة التي تشع بجرع كبير لأن إسرائيل لا تلتفت إليها ولا تكمل مخططاتها في القضاء على حركة حماس وتحرير غزة عن طريق احتلالها. وهو ما يدعو إلى السخرية حيث صار حلط الأوراق على درجة عالية من الرخص والابتذال. فحماس التي استقلت بقطاع غزة صنعت منه قضية لا علاقة لها بأصول القضية الفلسطينية. غزة ليست فلسطين. تلك فكرة



فاروق يوسف
كاتب عراقي

تفضل حركة حماس أن تتفاوض مع إسرائيل على أن تتفاوض مع السلطة الفلسطينية التي يمكن اختزالها بحركة فتح. ذلك ما صار ممكناً لا ترى حماس في الحوار مع فلسطينيي الضفة الأخرى ما يمكن أن يؤدي إلى نتائج إيجابية أما الحوار مع دولة "العدو" فإنه ينطوي على منافع كثيرة.

من المؤكد أن ما تفكر فيه حماس هو غير ما تفكر السلطة فيه. فالإنسان ليسا على الخط نفسه. ما من شيء يجمع بينهما وكان القضية صارت نوعاً من الاحتكار الإحادي الذي لا يضمن اتفاقاً ولا يؤسس لثقة من أي نوع. ولأن إسرائيل لا تتفق بالطرفين فإنها جعلت كل شيء في حالة تعليق. وهو ما لا يشكل عنصر إزعاج لها وبالأخص أنه ليس من المطلوب منها وفق القانون الدولي أن تتفاوض مع حماس باعتبارها ليست الطرف المخول لتمثيل الشعب الفلسطيني وفق الاتفاقات الختائية.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

مختار الدبابي

كرم نعمة

حذام خريف

منى المحروقي

مدير النشر

علي قاسم

المدير الفني

سعيدة اليعقوبي

تصدر عن

AI-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk